مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد01 جانفي2023 ص ص 476ـ487
ر س ع و (ISSN): 2602ـ618X / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر: طبيعتها، أدواتها وأهدافها

The French educational policy in Algeria
Its nature, Means and objectives

بن مصطفى دريس♦ جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
driss.benmostefa@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2022/07/08 تاريخ القبول: 2023/01/09 تاريخ النشر:2023/01/31

الملخص باللغة العربية:

ظلت فرنسا الاستعمارية متشبثة باستغلالها وأفكارها العنصرية في الجزائر، تربي وتؤمن أن الجزائر قطعة منها لا يمكن التخلي عنها أو مجرد التفكير في ذلك، فهي جزء منها يفصل بينهما البحر المتوسط كما يفصل نهر السين بين ضفتي باريس.

ولتحقيق أحلامها وبموازاة أعمالها العسكرية، رأت أن تضرب مقومات الشخصية للشعب الجزائريين وهذا ما لا يتأت إلا بمهاجمة التعليم العربي الوطني وإحلال تعليم استعماري بدلا منه. فما هي الوسائل التي استعملتها فرنسا في مجال التعليم في الجزائر؟ وما هي الأهداف والأبعاد المرجوة من ورائها؟ وما مدى نجاحها في ذلك؟

الكلمات المفتاحية: السياسة؛ الفرنسية؛ التعليمية؛ الجزائر؛ أهداف، الهوية، المنهاج، الاستلاب.

Abstract: France continued to believe in its exploitation and its racist ideas in Algeria, seeing and believing that Algeria was a part of it, and that it could not leave it, or just thinking about it.

It was then that, with colonial education, France wanted to achieve this wish . then What are the means implemented by France in the field of education in Algeria? What are the desired objectives ? and did she succeed in it ?

♦ المؤلف المرسل

Keywords: French ; educational; policy; Algeria;identity; means.

مقدمة:

لم يكن الاحتلال الفرنسي للجزائر احتلالا عسكريا فقط، بل رافقته جملة من السياسات والإجراءات المختلفة لتسهيل عملية تثبيت أقدام المستعمرين بها، ومن بين الأمور التي ركزت عليها فرنسا هي التعليم، لما له من دور في الحفاظ على ثوابت الأمة وهويتها وشخصيتها القومية التي قد تقف في وجه مشروعها الاستيطاني، ولهذا فقد وظّفت للعملية كل ما تملك من امكانيات مادية ومعنوية لتفكيك ذلك المجتمع الجزائري واختراقه، والقضاء على لحمته التاريخية والدينية والعرقية فقد وجدت عند دخولها مجتمعا له لغته وعقيدته وثقافته الخاصة التي بقي محافظا عليها طيلة الوجود العثماني على أرضه، وشكلت في نفس الوقت عائقا كبيرا في وجه المشاريع الفرنسية على جميع الاصعدة. وقد اتبعنا في دراستنا هذه منهجا تاريخيا وصفيا انطلاقا من جملة من المصادر والمراجع التي تطرقت للموضوع او لجانب منه بإسهاب او بشكل عرضي فقط.

ففيما تمثلت أسس تلك السياسة؟ والى أي مدى نجحت فرنسا في بلوغ أهدافها من ورائها ؟.

1- الوسائل التي اتبعتها فرنسا في تنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر:

يقول أحد المستشرقين: ((اذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك ثلاث وسائل هي: هدم الأسرة، وهدم التعليم، وإسقاط القدوات))، والملاحظ أن هذه الأسس الثلاثة تعد رافدا من روافد تكوين الشخصية الجمعية للأجيال المستقبلية لأي دولة من الدول، والتي تحميها من المسخ والانحلال وفقدان الهوية التاريخية.

لقد كان من بين الوسائل التي اعتمدتها فرنسا في تقويض الحضارة[1] الجزائرية والمجتمع الجزائري تحطيم التعليم، ومحو الشخصية القومية للشعب الجزائري، وهذا ما

1. ان تعريف الحضارة في معاجم اللغة لا تخرج عن كونها الاقامة في المدن، وهي ضد البداوة، كما انها في المفهوم العام ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته سواء اكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية، مؤنس حسين، الحضارة _ دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها_، نشر: سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1977، ص13، ويرى ابن خلدون أن الحضارة هي غاية العمران، ونهاية لعمره ومؤذنة بفساده، عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت ، 2003 ، ص567..

يتجلى من خلال أقوال بعض الشخصيات الفرنسية، فقد جاء في تقرير لأحد المسؤولين الفرنسيين ما مفاده ((أن بناء مدرسة أفضل من تجنيد فيلقين لاقرار الأمن)).

ان قولنا بحضارة الجزائر حينها لا يعني أننا أعطينا هذا البلد أكثر من حقه ووضعه الحقيقي، لأن معالم الحضارة وان لم تكن خالصة فقد كانت موجودة، أضف الى ذلك أن الحضارة لا تعني أبدا التقدم والازدهار المادي لوحده وانما هي مجموع مكونات مادية وروحية ودينية وثقافية لا يمكن انكارها على المجتمع الجزائري حينها.

كما أن إخماد أشكال المقاومة وجذوتها في نفوس الأفراد لا يتم إلا بالقضاء على الشخصية الجزائرية، متمثلة في مختلف أشكال الثقافة[2]، والتاريخ، واللغة العربية ودين الإسلام، باعتبارها تمثل مقومات الهوية الجزائرية التي تنمي الاحساس بالوحدة وتشكيل الوعي بوجود الأمة الواحدة التي تشترك في هذه المقومات، وما نستنتجه هو أنه لا شيئ يمكّن فرنسا من ذلك سوى سيطرتها على التعليم ومؤسساته وكذا القائمين عليه.

لقد قامت سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر على ثلاثة أسس رئيسية وهي: الفرنسة والتنصير والإدماج.

1-1 الفرنسة : تجلى هذا الأساس من خلال المناهج والمواد المدرّسة للجزائريين، ولقد نظمت أمور التعليم الابتدائي في الجزائر وفقا لمرسوم 13 فبراير سنة 1883م، اذ جعلته فرنسيا خالصا في اللغة والمناهج والتوجيه العام[3]، وأنشأت نوعين من المدارس، أحدهما خاص بأبناء الاوروبيين المستوطنين في الجزائر، والآخر خاص بأبناء الجزائريين، وجعلت التعليم فيهما معا باللغة الفرنسية، وكان هدفها من ذلك هو ابعاد اللغة العربية وثقافتها من برامج المدارس الابتدائية في الجزائر طبقا لسياسة فرنسة الجزائر، لأن اللغة هي هُوية الأمة، ومصدر اعتزازها، تدل على أمجادها وآثارها، وعمقها التاريخي، لذا فهي تحظى بالتقدير والاعتزاز والفخر، وهي رمز الكرامة الوطنية، والشخصية المتميزة، وبالقضاء عليها يحدث الانفصام أو ربما حتى التنكر للغة والتاريخ والأصل.

أما في المدارس الثانوية والعالية فهي وإن كانت تشمل الجزائريين والأوروبيين فان اللغة العربية كانت تعتبر لغة اختيارية، وبناء على ذلك فان التعليم في

2. الثقافة هي ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك من موسيقى ورسم وشعر وأدب، انظر مؤنس حسين، المرجع السابق، صص 317-318.

3. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1981، ص22.

عهد الاحتلال كان كما وصفه بعض الباحثين بقوله:((كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا، لا يعترف باللغة العربية ولا يقيم لوجودها أي حساب أو وزن، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في كل مراحل التعليم، وبهذا انحصر وجود الثقافة العربية في الكتاتيب القرآنية وفي الزوايا وبعض الجوامع، ثم في مدارس التعليم العربي الحر طوال وجود الاحتلال في الجزائر)).

وبما أن مادة التاريخ الوطني والجغرافيا الوطنية تعتبران من المواد العلمية ذات الاستراتيجية الخطيرة في بناء الكيان القومي والوطني للمتعلمين في سائر مراحل التعليم، فقد تركزت عليهما جهود الاحتلال، وبحرمان الجزائريين من دراستهما الدراسة العلمية الوافية في معاهد التعليم المختلفة.

فمن ناحية المسخ والتشويه كان الاطفال الجزائريون في مدارس الاحتلال يدرسون في مادة التاريخ الذي يعتبر بمثابة شعور الأمة وذاكرتها ووعيها بكيانها[4] ما مفاده ((كانت بلادنا قديما تسمى الغال، وكان أجدادنا يسمون الغاليين، وهذا تماما مثل ما كان يدرس التلميذ الفرنسي في مقاطعه نورماندي))[5].

والقصد من هذا المسخ والتشويه للتاريخ الوطني الجزائري واضح وهو أن ينشأ أبناء الجزائر الذين يدرسون في مدارس الاحتلال على هذه الصورة وهم يعتقدون منذ الصغر بان أصل أجدادهم ينحدر فعلا من الغاليين بجنوبي فرنسا، وليس من عرب شبه الجزيرة العربية، وبذلك يصبحون أسهل انقيادا وأيسر استجابه لقبول نتائج سياسة الفرنسة والتمسيح والإدماج في فرنسا[6]، وهي السياسة التي تهدف الى محو شخصية وطنهم القومية محوا كاملا، والقضاء على الهوية التي تشكل القاسم المشترك الذي اتفقت حوله الجماعة لتكون مميزة ومتميزة عن غيرها، فهي تمثل الاسمنت الذي يربط أفراد الجماعة الى بعضهم ويمنع تفككهم وتشرذمهم، فهي تقوم على جملة من الخلفيات الدينية والثقافية

والتاريخية وغيرها، وبالقضاء عليها يسود التفكك والتشرذم ويذوب أفراد هذه الامة في هويات أخرى أكثر هيمنة وقوة .

---

4. ساطع الحصري، الفكرة القومية، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1959، ص 26.

5. تنقسم نورماندي إداريا إلى خمسة أقاليم هي: كالفادوس، أور، المانش، أورن، السان البحرية، تبلغ مساحتها 30,627 كيلومتر مربع وتشكل مايقرب من 5% من أراضي فرنسا، وبها تمت عملية الانزال من قبل الحلفاء في يوم الثلاثاء 6 حوان 1944 والتي يطلق عليها اسم عملية نبتون أيضا.

6. انظر بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1989 ، ج 1، : دار المعرفة، الجزائر 2006، ص152.

ومن ناحية حرمان الجزائريين من دراسة تاريخ بلادهم الوطني، فان مقررات التاريخ في التعليم الابتدائي وغيره كانت تتوسع كثيرا في تدريس تاريخ فرنسا في جميع العصور حتى يلموا به علما كافيا، بينما لا يدرس لهم تاريخ الجزائر إلا باختصار كبير، وفي أسابيع قليلة في المرحلة الابتدائية فقط، والقصد من ذلك واضح وهو محاولة فصم أو قطع الصلة التي تربطهم بماضيهم وماضي بلادهم ومقدساتهم كي يوجههم الاحتلال الوجهة التي تتفق مع أهدافه العامة في البلاد.

وعمل من جهة أخرى على حرمان الجزائريين من دراسة تاريخهم حتى في المدارس والكتاتيب القرآنية الحرة، التي أقامها الشعب الجزائري بتبرعاته الخاصة لتعليم أبنائه مبادئ اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الوطني، ففي عام 1904م أصدر الاحتلال قانونا يمنع الجزائيين من فتح أي مدرسة أو كتاب قرآني إلا بترخيص خاص من الادارة الفرنسية[7]، وعندما تمنح الرخصة لطالبها يشترط عليه وجوبا استبعاد تاريخ الجزائر وجغرافيتها من مناهج الدراسة وإلا تعرض لسحب الرخصة منه وإغلاق المدرسة أو الكتاب.

أما الجغرافيا التي تعد من العلوم المهمة والضرورية لحياة الإنسان وتفاعله مع البيئة والاستمرار في تحقيق التوازن لها[8]، وترفع الرابطة القوية بين التدبر في المكان سواء بدوافع علمية بحتة أو بدوافع روحية دينية، وبين وظيفة الإنسان في هذه الأرض قد أدى إلى تطورها في الماضي، خاصة عند المسلمين، أما فرنسا الاستعمارية فقد سمحت بتدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائر[9] في المدارس الفرنسية باختصار، وخلال أسابيع معدودة في المرحلة الابتدائية فقط مثل التاريخ، وكان المنهج يحاول أن يغرس في أذهان التلاميذ الجزائريين أن بلادهم تعتبر جزءا لا يتجزأ من الوطن الفرنسي الأم، وأن الجزائر تمثل ثلاث مقاطعات فرنسية فيما وراء البحر المتوسط.

وفي نفس الوقت يدرس أبناء الجزائر في المدارس الفرنسية الحكومية جغرافية فرنسا بتفصيل واف في مختلف مراحل التعليم، وذلك لأن الجغرافيا مثل التاريخ مادة ذات طبيعة استراتيجية خطيرة من ناحية تكوين الروح الوطنية والقومية لدى المتعلمين، وبناء شخصيتهم القومية بناء سليما، فنحن مثلا لا يمكننا أن ننتظر من الناشئين أن يحبّوا وطنهم ويفدوه بكل ما يملكون في الوقت الذي لا يعرفونه معرفة جيدة في مختلف

7. رابح تركي، المرجع السابق، ص 115.

8. محمد شوقي بن براهيم ،الجغرافيا والهوية الوطنية ،اصدارات في الثقافة الجغرافية ،جامعة الملك سعود، السعودية، 2012، ص 8.

9. محمد شوقي بن براهيم، المرجع السابق، ص11.

مراحل تاريخه، وفي موقعه الجغرافي ومكانته الاقتصادية والسياسية بين أوطان الشعوب الأخرى، كما لا يرون بعيونهم ما يدرّه عليهم من منافع وخيرات[10] .

ومن هنا حارب المنهج التعليمي الفرنسي تعليم مادة الجغرافيا الوطنية لأبناء الجزائر بالأسلوب السليم تمشيا مع سياسة في العمل على محو الشخصية القوميه للشعب الجزائري[11].

أسند قادة الاحتلال للمدرسة مهمة القيام بتحطيم الروح المعنوية للجزائريين، هذه العملية التي أطلقوا عليها اسم_الغزو من الداخل_، نظرا لما يتوفر لديها من وسائل الاقناع والترغيب عن طريق برامجها التعليمية ونشاطاتها التربوية المختلفة من صحافة ومسرح وموسيقى وأناشيد ورسم وخطابة وألعاب رياضيه وغيرها..... وقد لعبت المدرسة الفرنسية فعلا دورها المرسوم على الوجه المطلوب في محاولة محو الشخصية الجزائرية وتدمير معنويات الجزائريين حتى يستسلموا لمخططاتها ضد بلادهم وشخصيتهم القومية.

أما عن موقف الاحتلال من اللغة والثقافة العربية في القضاء عليهما فقد مثل تمشيا مع سياسة الادماج الاستعماري، اذ عمل على القضاء على معظم مراكزها والتي كانت تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا التي كانت قائمة بالبلاد قبل الاحتلال، فحوّل البعض منها الى معاهد للثقافة الفرنسية، وسلم بعضها الآخر الى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذتها مراكز لنشاطها التبشيري قصد هدم عقيدة الشعب الجزائري[12]، بينما تم هدم الأخرى بدعوى اعادة تخطيط المدن الجزائرية، ففي مدينة قسنطينة لوحدها قبل دخول الاحتلال اليها سنة 1837م كان يتواجد بها ثمانون مدرسة وسبعة معاهد وثلاثمائة مدرسة وزاوية في منطقتها فلم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثون مدرسة فقط، أما في مدينة عنابة فكان يوجد بها تسعوثلاثون مدرسة و سبعة وثلاثون مسجدا وجامعا وزاويتان، لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاث مدارس فقط، وهكذا كان الامر بالنسبة الى مراكز الثقافة العربية الأخرى في بقية الجهات الجزائرية الاخرى[13].

2-1 التنصير: لا يجب ان نغفل التكامل بين الوسائل التي لجأت اليها فرنسا في الجزائر لتحقيق حلمها في اخضاعها لها، فقد كان للمبشرين دور هام في اخضاع

10. جورج شهلا وآخرون: الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، بيروت، 1955 صص -116_ 263.
11. رابح تركي، المرجع السابق، ص 117 .
12. رابح تركي، المرجع السابق، ص93.
13. نفسه، ص93.

الجزائريين مستغلين في ذلك الفقر المدقع للأطفال(الخبز مقابل الصليب)[14] وخاصة في عهد الكاردينال (مارسيال ألمان لافيجري) الذي أسس بيوتا للفقراء والأيتام واعتنى بهم قصد تحويلهم للمسيحية، وهنا يحضرني قول أحد الاباء وهو يسلمه مجموعة من الاطفال الجزائريين: ((حاول يا أبتي ان تجعل منهم مسيحيين فانك ان فعلت فلن يعودوا ليطلقوا النار علينا))، فقد سعى هذا الاخير الى تفكيك المجتمع الجزائري ليترك المجال واسعا لعملية تنصيره، واستطاع أن ينشر المسيحية بخطى واسعة، ويتبين سعيه هذا من خلال قوله" ، وأن عهد الصليب قد بدأ، وأنه يستمر إن عهد الهلال في الجزائر قد ولى وقبر إلى لابد... وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها من الإنجيل"

أما بالنسبة للدين الاسلامي فقد تم تشويهه من خلال تحكم فرنسا في تعيين رجال الدين الذين يبدون الولاء والإخلاص لها من رجال الطرق والأئمة والمدرسين، كما استمالت الى صفها رجال الطرق الصوفية المنحرفين، بعد ان أخضعتهم عسكريا وأخذت تغدق عليهم بالمال، واستعملتهم في محاربة جمعية العلماء ودعوتها الاصلاحية وكل العلماء المصلحين، وعليه فقد أدى ذلك كله الى انتشار أفكار الشرك بالله والشعوذة بين أفراد الشعب[15]. وبما ان الدين الاسلامي يعتبر في الجزائر مقوما رئيسا من مقومات الشخصيه القوميه فقد حاولت فرنسا القضاء عليه تمهيدا للقضاء على الشخصيه الجزائريه وذلك عن طريق الاجراءات التالية.

لقد أعلنت فرنسا في بداية الاحتلال أن من أهم اهدافها من وراء احتلال الجزائر هو القضاء على الاسلام ونشر المسيحية

على الاوقاف الاسلامية بعد أشهر قليلة فقط من الاحتلال وقد كانت الاوقاف هي التي تقوم بشؤون المساجد والجوامع والتعليم الديني، وبذلك حرمت هذه المؤسسات من المورد الوحيد الذي تعتمد عليه في اداء رسالتها الاسلامية على الوجه المطلوب.

وفتحت أبواب الجزائر على مصراعيها في وجه الهيئات التبشيرية من مختلف دول العالم بقصد تنصير الجزائريين والقضاء على الاسلام، وباركت نشاطهم وأيدتهم ماديا واداريا، وحولت عددا لا بأس به من المساجد الاسلامية الى كنائس للمسيحيين، وذلك نكاية في الدين الاسلامي ومحاولة القضاء عليه بالقضاء على مقدساته.

14. انظر: عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص152.

15. صالح عوض، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، مطبعة دحلب، الجزائر، (د ت)، ص 211.

اخضعت فرنسا المؤسسات الاسلامية من مساجد وقضاء شرعي ومواسم اسلامية ورجال دين لإشرافها المباشر، وعملت على تسخير رجال الدين للعمل كجواسيس للإدارة على مواطنيهم مما يتنافى مع مكانتهم الدينية المبجلة.

كما تم اصدار قانون فصل الدين عن الدولة في سنة 1905م والمطبق في الجزائر بمقتضى مرسوم 1907م على الدين اليهودي والدين المسيحي فقط، ورفض تطبيقه على الدين الاسلامي ومعابده، كي يبقى تحت سيطرتها المباشرة، وحتى تحول بين الجزائريين وبين النهوض بالمؤسسات الاسلامية على الوجه المطلوب وكان الوالي العام الفرنسي في الجزائر هو الرئيس الأعلى لشؤون الدين الاسلامي ولم ينته هذا الوضع الا بانتهاء الاحتلال من الجزائر.

وقد بلغت فرنسا في هذا الشأن مبلغا كبيرا، وهذا ما نستنتجه من تقرير أحد الساسة الفرنسيين ((ان آخر أيام الاسلام في الجزائر قد دنت وبعد حوالي عشرين عاما لن تجد للجزائريين الها غير المسيح)).

1-3 الادماج : كانت فرنسا ترمي الى ادماج الجزائر كلية مع فرنسا وفقا لأسطورتها الواهية ((من دنكرك الى تمنراست))، أو ((أن الجزائر جزء من فرنسا يفصل بينهما المتوسط))، فلقد استطاعت بقوتها العسكرية والقبائل التي وظفتها وتعاونت معها من اخضاع الأرض، لكن بشكل مؤقت، لأن نضال الجزائريين لم يخبو في يوم من الأيام، وما كان المستعمر ليتمكن من مقاومة الا لتظهر أخرى غيرها وفي مناطق أخرى تعبيرا عن رفض الاحتلال والوجود الفرنسي، وبرهانا على تشبث هدا الشعب بأرضه وهويته، وأن دمج الجزائريين كأفراد شكل مهمة صعبة أمامها رغم اتخاذها كل الاجراءات والتدابير اللازمة كالفرنسة لتحقيق الغزو الفكري والتنصير لهدم وتذليل التنافر الديني بين المعمرين ومن أسمتهم الاهالي، الذين كانت تراهم في الواقع لا يصلحون الا لأن يكونوا بنائين أو رعاة أو مزارعين وأن لغتهم لا تصلع الا للتخاطب والشعر، وأنهم ورغم دعوات الادماج الفرنسية الا انهم_ اي الجزائريون_ مواطنون فرنسيون من الدرجة الثانية أو الثالثة، وهذا على حد تعبير نقولا زيادة ((وحالت فرنسا دون الجزائر والاتصال بالمشرق العربي، ووجهتها وجهة فرنسية بحتة في المدرسة والسوق والصحافة والتعليم العالي، فيما بعد وكانت فرنسا تطمع في أن تندمج الشخصية الجزائرية بالشخصية الفرنسية عن هذا الطريق، ولكن ذلك لم يتم لها فقد فرنست الأرض، لكن الشعب الجزائري ضل جزائريا))[16].

16. نقولا زيادة، صفحات مغربية، دار الطليعة، بيروت 1956، ص223

2 -أهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر:

وفي ختام هذا العرض نطرح السؤال الرئيس ألا وهو : الى أي مدى نجحت فرنسا في بلوغ ما سطرت له من خلال سياستها التعليمية_؟

ان السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر كانت ترمي الى تحقيق جملة من الاهداف في آن واحد، لما للتعليم من أهمية في بلوغ فرنسا لأهدافها الاستعمارية والتوسعية، فهي من ناحية كانت تعمل على نشر الفرنسة بين الجزائريين وتحبيب فرنسا وثقافتها وحضارتها اليهم بقصد غزوهم من الداخل[17]، وهي من ناحية أخرى كانت تعمل على تخويفهم من فرنسا وذلك بإعطائهم فكرة مبالغ فيها عن قوتها العسكرية وإمكانياتها الاقتصادية ونفوذها السياسي وغير ذلك كي يستسلموا لاحتلالها الغاصب من كل مقاومة جدية له باعتبارها قوة لا تقهر، وهي من ناحية ثالثة كانت تعمل بهمة ونشاط على محو الشخصيه القومية للجزائر.

لم تحقق سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر كل أهدافها المرجوة والمتمثلة في الفرنسة والتنصير والإدماج بغرض القضاء على الشخصيه الجزائرية، إلا انها أفلحت في تكوين مجموعة قليلة من الجزائريين أطلقت عليهم اسم **جماعة النخبة** ممن تثقفوا بالثقافة الفرنسية الخالصة وانبهروا بمعالم وبمظاهر الحضارة الفرنسية والتقاليد الفرنسية، فأصبحوا دعاة متحمسين لإدماج الجزائر في فرنسا والتجنس بجنسيتها، بل أن بعضهم قد بلغ به التطرف الى حد انكار وجود شخصية جزائرية قائمة بذاتها في التاريخ، ومنهم فرحات عباس الذي قال بأنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وقال أيضا: ((لو كنت قد اكتشفت أمة جزائرية لأصبحت وطنيا ولم أخجل من جريمتي، فلن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأن هذا الوطن غير موجود، لقد بحثت عنه في التاريخ فلم أجده، وسالت عنه الأحياء والأموات وزرت المقابر دون جدوى)) وأخيرا على حد تعبير عبد الحميد بن باديس: ((أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح فرنسا هي أنا)) .

كما ظهرت الطبقة المفرنسة بعد الاستقلال، من نخب ومثقفين ومتعلمين، والذين نشئوا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالقيم والثقافة الفرنسية، مما سيجعل منهم

17. أبو الفتوح رضوان، القوميه العربية _دراسة ضمن كتاب أسس التربيه في الوطن العربي، الحلقه الدراسية العربية الاولى للتربية وعلم النفس، القاهرة، 1961، ص 51.

جهازا ثقافيا في خدمة الفرنسة ونشر الثقافة الفرنسية، من لغة وأدب وفنون وسلوكات وأنماط عيش فرنسية[18].

لقد أطلقت الصحافة والدوائر السياسية الفرنسية على أفراد هذه الجماعة اسم جماعة النخبة (l,elite) تمييزا لهم عن باقي أفراد الشعب وتشجيعا لهم على مواصلة السير في نفس النهج ولما لا التحاق أفواج أو أعداد أخرى بهذه الجماعة لتسهيل عملية ادماج الجزائر في فرنسا ودعوة الجزائريين الى التجنس بالجنسية الفرنسية رغم ما في ذلك من تعارض مع مقومات الشخصية الجزائريه المتمثلة في الاسلام والعروبة والوطنية الجزائرية[19].

تجدر الاشارة هنا الى أنه وحتى بعد الاستقلال كان لا يزال البعض من الجزائريين المثقفين ثقافة فرنسية يعارضون خطه تعريب التعليم والإدارة في الجزائر متاثرين بما تعلموه في المعاهد الفرنسية في عهد الاحتلال من معلومات مشوهة ومغرضة ضد اللغة العربية وانتماء الجزائر الحضاري والمصير الى الأمة العربية والعالم الاسلامي.

كما نتج عن تلك السياسة ظهور أنماط وسلوكات غريبة عن ثقافة المجتمع الجزائري، لاسيما في المناطق الحضرية أو المدن الكبرى لتأثر السكان هناك بالقيم الثقافية الفرنسية واحتكاكهم المباشر بالمستعمر الفرنسي، فكان التأثر ماديا ومعنويا تجلى في والادب، والفنون،[20] والسلوكات الاستهلاكية كالأكل واللباس والعمران والفلاحة، وحتى في الادارة، وبعض المعاملات.

استطاعت فرنسا الاستعمارية النيل من كثير من التراث الجزائري المكتوب، وخاصة المخطوطات والوثائق والكتب،اذ قام ضباط الاحتلال ورجال الدين بنهب المكتبات الجزائرية العامة والخاصة وإرسال كتبها الى فرنسا او بيعها لتجار الكتب الاوروبيين بينما أحرقت وأتلفت الكثير منها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، مكتبة الامير عبد القادر بعد أسره سنة 1847م[21].

ولقد حالت فرنسا دون الجزائر والاتصال بالمشرق العربي، ووجهتها وجهة فرنسية بحتة _في المدرسة والسوق والصحافة والتعليم العالي فيما بعد وكانت فرنسا

18. مصطفى الأشرف، الجزائر- الأمة والمجتمع-، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر : دار القبة للنشر، 2007، صص 425-426.

19. رابح تركي، المرجع السابق، ص96.

20. أنظر كميل ريسلري، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر(أهدافها وحدودها) 1830_1962، ترجمة وتعليق نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر ألالكتروني الجزائر 2016، صص 102.101.

21. رابح تركي، المرجع السابق، ص.94

تطمع في ان تندمج الشخصية الجزائرية بالشخصية الفرنسية عن هذا الطريق ولكن ذلك لم يتم لها فقد فرنست الارض، لكن الشعب الجزائري ظل جزائريا[22].

ظهور ما يسمى بتعايش الذوات المتناقضة بسبب اختلاف الولاءات الثقافية وهي: الذات الاسلامية التي تتخذ من الاسلام اطارها المرجعي في التعامل مع الواقع المعيش ومن اولئك اتباع جمعية العلماء المسلمين او التيار الاصلاحي، اضافة الى الذات المعربة التي تحمل شعار العربية لغة وامتداد، والذات الأمازيغية التي تدعو الى العودة الى الأصل التاريخي القديم في بناء الدول، وأخيرا الذات المفرنسة التي أفرزتها السياسة الفرنسية في الجزائر في عهد الاحتلال[23].

قال الفيلسوف ابن رشد: اذا أردت أن تتحكم في جاهل فعليك أن تغلّف كل باطل بغلاف ديني، ولقد عمدت فرنسا الى انتاج رجال الطرق الصوفية المنحرفين، والذين أصبحوا أداة في يد فرنسا لخدمة سياستها وأهدافها المتمثلة في جعل الجزائريين مستسلمين لسياستها (باسم القضاء والقدر) وهذا ما أدى الى ظهور مدرسة التجديد الاسلامي في الجزائر بقيادة عبد الحميد بن باديس والتي كان في مقدمة مهامها محاربة الطرق الصوفية المنحرفة، وقد نجحت الى حد كبير في القضاء عليها وعلى الاستعمار.

نتج عن تلك السياسة الاستعمارية نقص فاحش في نسبة المتعلمين بالمجتمع الجزائري وانتشرت الأمية وضعف التعليم الفني بوجه عام بالنسبة للتعليم العام، مما دفع بالجزائر بعد الاستقلال وحتى مرحلة الثمانينات الى الاستعانة بأطر من البلدان العربية وغيرها لسد ذلك العجز، ناهيك عن ضعف الامكانيات المادية والتجهيزات الدراسية بالنسبة للجزائريين(82 طبيبا جزائريا من مجموع 1559 طبيب اي 5.2 بالمائة من مجموع الاطباء الاروبيين، و10 أطباء أسنان من مجموع 317 أي 3.1 بالمائة ، و35 صيدليا من مجموع 605، و11 قابلة من مجموع 457 قابلة .

الخاتمة: في الوقت الذي كانت فرنسا تعمل فيه بكل ما أوتيت من قوة على اغتصاب الارض الجزائرية ومحاولة تشويه تاريخ شعبها وارتباطه بها من خلال القضاء على اللغة والدين والهوية الوطنية كان بالمقابل لأولئك الذين رفعوا السلاح في وجهها و في وجه عملائها دفاعا عن الارض والعرض، جماعة من الجزائريين قد أخذوا على عواتقهم أمر محاربة المسخ الذي أرادت فرنسا الحاقه بالشخصية والقومية الوطنية الجزائرية من خلال

22. نقولا زيادة، المرجع السابق، ص223.

23. اسماعيل قيرة وأخرون، مستقبل الديمقراطية بالجزائر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2002، .ص203.

احداث تعليم عربي حر يغرس في نفوسهم مكونات هويتهم كالدين الاسلامي واللغة والثقافة العربية، فكان بذلك تأثير السياسة التعليمية الفرنسية محدودا، وليس أدل على ذلك من ظهور التيار الثوري الذي أعلن عن قيام ثورة التحرير الكبرى التي خلصت الجزائر من استعمار دام قرنا واثنتين وثلاثين عاما،والذي كان نتيجة لانتشار الوعي بين الجزائريين وادراكهم لمخاطر وجود المستعمر الفرنسي على ارضهم ومكونات شخصيتهم وهويتهم، هذه الثورة التي كانت شاملة، سمتها الاستمرار والإصرار على بلوغ الاهداف في ظل وجود جزائريين تكونوا سياسيا وعسكريا وثقافيا، لقد ترك الاستعمار آثاره بليغة على المجتمع، لكنه لم يستطع القضاء بشكل نهائي كما اراد على بذور هويته التي شكلت عامل دفع قوي في اعادة بناء مجتمع جزائري في ظل الحرية والانعتاق.

قائمة المراجع:

- اسماعيل قيرة وآخرون، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط1، 2002 .
- عوض صالح ، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، الجزائر، مطبعة دحلب، (د ت).
- مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجمتع، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر ، دار القبة للنشر، 2007.
- جورج شهلا وآخرون: الوعي التوبوي ومستقبل البلاد العربية، بيروت، .1955
- ابن براهيم محمد شوقي، الجغرافيا والهوية الوطنية ، السعودية، اصدارات في الثقافة الجغرافية، جامعة الملك سعود، 2012.
- ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2003، 5.
- أبو الفتوح رضوان، القومية العربية _دراسة ضمن كتاب اسس التربيه في الوطن العربي، الحلقه الدراسية العربية الاولى للتربية وعلم النفس، القاهرة 1961.
- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981 .
- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، الجزائر، دار ألأمة ، 2013.
- مؤنس حسين، الحضارة _ دراسة في أصول وعومل قيامها وتطورها_ ، الكويت ، نشر سلسلة عالم المعرفة 1977.
_ نيقولا زيادة، صفحات مغربية، بيروت، دار الطليعة 1956.
- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1989 ، الجزائر، دار المعرفة ، 2006.
- ريسلري كميل، السياسة الثقافية الفرنسية باالجزائر (أهدافها وحدودها) 1830_1962، . ترجمة وتعليق نذير طيار، الجزائر، دار كتابات جديدة للنشر الاكتروني، 2016.
- ساطع الحصري: الفكرة القومية، ، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1959.